مجلة علوم التربية

دورية مغربية فصلية متخصصة

أحمد أوزي — عبد الله الخياري

إسماعيل علوي — لحسن عبود

جميل حمداوي — رشيد كهوس

رشيد جرموني — محمد بلهادي

ديرار عبد السلام — محمد طمطم

ضرضاري التهامي — المصطفى الحسناوي

أخ العرب عبد الرحيم — عبد العزيز خلوفة

العدد الثالث والخمسون - أكتوبر 2012

المنهاج الإسلامي في تربية الطفل

رشيد كهوس

تعتبر مرحلة الطفولة من أهم مراحل عمر الإنسان؛ إذ تتشكل من خلالها شخصية الفرد، لذلك أولاها الإسلام اهتماما بالغا، وأحاطها بعناية كبيرة، وحض على حماية النشء في هذه المرحلة، وغرس قيم المحبة والفضيلة في نفسه، حتى ينشأ عليها.

ذلك أن الطفل بالنسبة لنسل الإنسان كالبذرة بالنسبة لنسل الشجرة، والأمم التي تهمل أطفالها محكوم عليها بالانقراض والاندثار.

وعلى كل أمة تريد ضمان مستقبلها واستمرار حياتها توجيه عنايتها إلى تنشئة أطفالها الذين سيكونون أعمدة بنائها ورجالها في المستقبل... فضياع الأطفال يعني ضياع مستقبل الأمة.

والأمة إذا تخلت عن أطفالها وتربية أجيالها حسب فلسفة الإسلام في التربية والتوجيه، محكوم عليها بالتحلل والذوبان بين فكّي الزمان الذي لا يرحم!

الأمومة والأبوة:

ما يرفع الرجل الزوج إلا أبوته، وما يرفَع المرأة الزوج إلا أمومتها، ألم تر أن حقهما يُذْكَر مباشرة بعد حق الله سبحانه وتعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) (سورة الإسراء، الآية: 23) وما من أمومة أو أبوة تستحق كل هذه المكانة إن أنجبت غُثاءً كغثاء السيل، أو أساءت تنشئة أطفالها، أو تركتهم هملا؛ لقمة سائغة لبيئة منحلة، أو إعلام مفسد، أو رفقة مضلة...

إن غاية ما يراد من الأبوين تحقيقه حفظ الفطرة التي ولد عليها الطفل من الضياع وتنشئته تنشئة سوية مستقيمة، فكيف يمكن لمجتمع أن يسير سويا على صراط مستقيم، إن كانت تنشئة أطفاله أعمدة المستقبل تنشئة فاسدة!!!

إن أفضل خدمة يقدمها الآباء والأمهات للأمة المسلمة وللرسالة المحمدية: تنشئة جيل من الرجال الأقوياء في دينهم وخلقهم ومعاملتهم...

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لأَنْ يُؤَدِّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ»[1].

وعن عَبْدِ اللَّهِ بنِ مسعود رضي الله عنه قَالَ: «حَافِظُوا عَلَى أَوْلادِكُمْ فِي الصَّلاةِ وَعَلِّمُوهُمُ الْخَيْرَ فَإِنَّمَا الْخَيْرُ عَادَةٌ»(رواه الإمام أبو بكر أحمد البيهقي في السنن الكبرى).

- حاجة الآباء والأمهات إلى الحكمة التربوية في تنشئة الطفل:

إن مَهَمة الآباء والأمهات مَهَمة شاقة؛ مهمة البناء وصناعة المستقبل وللأمهات القسط الأوفر في هذا البناء، لكونهن أكثر ملازمة لأطفالهن من الآباء، وأكثر حنوا عليهم، وأشد التصاقا به، أضف إليه ما جبلن عليه من الصبر والتحمل للسهر على الأطفال...لذلك قال هتلر عندما أمر بالاستعداد للحرب للنساء: «خير خدمة للبلاد قراركن في البيوت واجتهادكن في تنظيم الجيل الجديد».

لابد من تهييء الأرض الصالحة لتربية الطفل؛ فأول محضن ينشأ فيه الطفل هو الأسرة فيها يتعلم ومن كبارها يقتدي؛ لذا يجب أن تسودها المحبة والمودة والرحمة والمعاشرة بالمعروف والبر والتعاون والخلق الكريم... حتى تتألف عناصر التربية المتكاملة.

إن الرياحين لا تزدهر في أرض كانت للأشواك موطنا، فالأرض الطيبة للبذور الطيبة، والأرض الفاسدة للأشواك والأحراش...

فمن البيت السعيد ينطلق التغيير، فواجب الأب والأم التربوي إزاء هذا الطفل أن يستنيرا بالوحي ويعملا عليه لتكون تنشئة هذه الزهرة على بينة وعلى صراط مستقيم، وإلا فالغزو الفكري انتشر في مجتمعاتنا انتشار النار في الهشيم، والدعوات المغرضة والصيحات التغريبية تملأ الدنيا صياحا.

وليبذل الآباء والأمهات جهودهم في حفظ النشء من نوافذ الإعلام المفسد المفتوحة أبوابه على مصراعيها، ومن المؤثرات الخارجية التي تُذْبِل زهرة الأخلاق، وتُعَوِّجُ عود الاستقامة، وتمتص رحيق الأغصان، وتسقي السمومَ، وتلقِّح بذور الشر، وتلقم سخافات تسخر من الدين، وتشبع النشء غازات سامة تنزع الأخلاق وتنازعها...

والله تبارك وتعالى أمرنا بإعداد القوة في قوله جل وعلا: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) (سورة الأنفال: من الآية 60). فما

تغني العدة المادية (الخيل والسلاح...) إن تركنا أبناءنا هملا تتقاذفهم أمواج الانحلال والانحراف والتغريب من هنا وهناك... إذ أن أكبر عدة نعدها هي تربية الآباء والأمهات لأطفالهم تربية إسلامية على منهاج صحيح، وغرس بذور الحب والخير في قلوبهم ... فإذا نضجت الثمرة فأدنى حركة تجعلها تَسَّاقط عليهم رطبا جنيًّا، فيأكلوا من بركاتها ويقروا عينا بصلاحها ونضجها: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قَالَ: « إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَة: إِلاَّ مِنْ صَدَقَة جَارِيَة، أَوْ عِلْم يُنْتَفَعُ بِه، أَوْ وَلَد صَالِح يَدْعُو لَهُ»[2].

نقرأ الحكمة التربوية مفصلة في وصية لقمان الحكيم -عليه السلام- لابنه: قال الله عز اسمه: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِه وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّه إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ(13) وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْه حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْن وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْن أَن اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ(14) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِه عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(15) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّة مِنْ خَرْدَل فَتَكُنْ فِي صَخْرَة أَوْ فِي السَّمَاوَات أَوْ فِي الأَرْض يَأْتِ بِهَا اللَّه إِنَّ اللَّه لَطِيفٌ خَبِيرٌ(16) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوف وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَر وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْم الأُمُورِ(17) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاس وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْض مَرَحًا إِنَّ اللَّه لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَال فَخُور(18) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ(19)) (سورة لقمان).

عشر وصايا وصى بها لقمان الحكيم عليه السلام ابنه:

1- توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به شيئا.

2- بر الوالدين والإحسان إليهما.

3- مراقبة الله تعالى.

4- إقامة الصلاة بأدائها في وقتها والحفاظ عليها.

5- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

6-الصبر على المُصاب وفي الشدائد والمحن.

7- التواضع للخلق.

8- التخلي عن المرح والبطر والتبختر في المشية.

9-القَصد في المشْي، أي التوسط والاعتدال.

10-الغض من الصوت؛ وإذا رفعت صوتك افتخارا وتعصبا فإن أنكر الأصوات لَصَوْت الحمير.

تحمل كل هذه الوصايا العشر -التي زكاها القرآن الكريم- في طياتها حكما كثيرة، وأساليب مؤثرة تجعل الطفل يمشي سويا على هدى من ربه.

وقبل تلك الوصايا ركز القرآن الكريم على صفة المربي ليؤكد على أهمية القدوة: (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ) (لقمان: 12) فالمربي الصالح والقدوة الصالحة لها أكبر الأثر في تنشئة الطفل، فهي أول وسيلة لتنشئته تنشئة صالحة صحيحة؛ إذ القدوة تفعل ما لم تفعله العبارات والأوامر، والتربية بالحال قبل المقال.

ثم نقرأ الحكمة التربوية مطبقة في عمل سيد الحكماء صلى الله عليه وسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَبَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: «من لا يرحم لا يرحم»[3].

الحكمة في التربية ليست إصدار تعليمات، بل الحكمة حب ورحمة ورفق وحنان، وأدب وخلق كريم، وتدرج، فإذا كان هذا تعامل الأب والأم مع ابنهما لا شك أنه يستجيب لهما، ويقتدي بهما.

عن أيوب بن موسى بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «مَا نَحَلَ[4] وَالِدٌ وَلَدَهُ نُحْلاً أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ»(رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، باب الأدب).

وتنشئة الطفل تبدأ من الصغر، «والتربية في الصغر كالنقش على الحجر»، يربى وينشأ تنشئة الغصن الحي ليستقيم على الشكل الذي نرتضيه. ولا يمكن أن تتصور غصنا حيا لينا إن أصابَهُ الحريق فتخشب وتفحَّم، أو أصابته الجراثيم فاهترأ!

ولله در القائل:

«وينفع الأدب الأحداث في صغر
وليس ينفع عند المشيبة الأدب
إن الغصون إذا قومتها اعتدلت
ولن يلين إذا قومتها الخشب»

بل تنشئة الطفل تبدأ من اختيار الأم الصالحة والأب الصالح، لينجبا الابن الصالح...

مراعاة التدرج في تنشئة الطفل:

إن التدرج هو الميزة البارزة في مسار الرسالة القرآنية الخالدة، وهو سنة من السنن الإلهية، مقررة في الشريعة الإسلامية بصورة لاحبة، وفي المنهاج النبوي أمثلة كثيرة..

ولهذا قال بعض الملوك لمؤدب ولده: «لا تُخْرجهم من عِلْم إلى عِلْم حتى يُحْكِمُوه، فإن اصطكاكَ العلم في السمع وازدحامَه في الوَهم مَضَلَّةٌ للفهم»[5].

وعليه فلابد من مراعاة سنة التدرج في تنشئة الطفل، فلكل مرحلة من مراحل عمره ما يناسبها، وأن يختار المربي ما يناسب مداركه وتطوره ونموه؛ فلا نكلفه فوق طاقته، ولا نتركه يجوس في غيابات جب الجهل، ولا

نلقنه الأمور بتفاصيلها، -مثلا – لا نلقنه أحكام الطهارة والصلاة والصوم والحج مرة واحدة وبكل جزئياتها؛ لأن الكثير من الآباء يحاولون تلقين أطفالهم تفاصيل أحكام الطهارة والطفل لم يتجاوز السنة السابعة أو الثامنة من عمره: فمن نواقض الوضوء التي تنيف على الستة عشر، إلى أحكام السهو التي قلَّ أن يضبطها المتفقهون... وكأن هذا الطفل سيصير من يومه إماما في مسجد الحي أو مفتيا في البلد... مما يسبب لكثير من أطفالنا نفورا كليا من هذا الذي نحسب أنه هو الدين كله، في الوقت الذي يجب أن نربيهم على محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وعلى الأخلاق الحسنة والخصال الحميدة، ونحبب إليهم الإيمان ونزينه في قلوبهم، مكتفين في أحكام العبادة بالضرورة التي تصح بها الصلاة.

الأبوان والحفاظ على الفطرة:

إن الطفل أمانة عند والديّه، وقلبه صفحة بيضاء فإن ملئت بالخير ونقش في قلبه نشأ عليه، وكان من السعداء في الأولى والآخرة، وكان لوالديه الحظ من تلك السعادة وثواب تلك التنشئة، وإن ملئت تلك الصفحة بالشرّ وتحول بياضها إلى سواد شقي وهلك، وشقي معه أهله، لكونهم أهملوه ولم ينشئوه تنشئة صحيحة.

إن من الآباء والأمهات مَن يقومون برعاية كاملة لجسم الطفل، لكنهم يتركون تزكية النفس والتربية على الأخلاق الحسنة لغيرهم جهلا أو تجاهلا... فما الأبوة والأمومة إنجاب جسوم فحسب، بل هي إصلاح العمل، وصيانة الفطرة والحفاظ على سلامتها.

نعم للرعاية الجسمية مكانها وأهميتها في شريعة الإسلام، لكنها تواكب الرعاية النفسية القلبية، وإلا وقع خلل في تنشئة الطفل، كما هو واقعنا اليوم.

ولذلك عندما تتغير نظرة الآباء إلى أنفسهم وإلى الحياة، فيكتشفوا أن معهم رِسالة إلى الإنسان الذي ينشأ في أحضانهم، عجزوا عن حملها، عندئذ يعيدون النظر في تربيتهم لأطفالهم ويبدأو البناء من أساس وعلى أساس، ويربونهم على دعائم الإسلام وأخلاقه، تربية لا تشوش عليها عداوة الإعلام الغربي المنحل ولا صيحات التخريب والتغريب... بهذا يسمو الطفل حينما يكبر عن مستنقع الأخلاَق الدنيئة.

أضف إلى ذلك أن كل مولود يولد مسلما كامل الاستعداد لتلقي العلم بالله والقَبول، وللأبوين التأثير المباشر في الحفاظ على الفطرة أو تحريفها؛ فتربيتهما للطفل إما تحافظ على الفطرة سليمة نقية ويتخذان لهذا المولود الجديد مأوى حاضنا فيصلح عملا، وإما يحولانه عن الإسلام ويهودانه وينصرانه ويمجسانه، أو يلقون به إلى شارع البؤس يتولى تربيته، أو يتركانه يرعَى مع الهَمَلِ هملا فينشأ نشأة غثائية..

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ مَوْلُود إلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفطْرَة، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانه أَوْ يُنَصِّرَانه أَوْ يُمَجِّسَانه، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهيمَةُ بَهيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فيهَا منْ جَدْعَاءَ[6]» ثُمَّ يَقُولُ: (فطْرَةَ اللَّه الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْديلَ لخَلْقِ اللَّه ذَلكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ)[7].

وللحفاظ على الفطرة يجب أن يربى الأطفال وفق سنة التدرج على:

حب الله تعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم والحب في الله...

كل ما يقربهم إلى الله ويبعدهم من غضبه،

الصلاة، والقرآن تلاوة وحفظا وتدبرا،

النظافة، وحفظ اللسان والصدق والحياء،

الرحمة بالضعيف، ونصرة المظلوم،

العزة على الكافرين تزَينها الذلة على المؤمنين،

الشجاعة في الحق،

ذكر الله تعالى والدعاء،

التوكل على الله إقداما وعملا جادا،

امتلاك النفس عند الغضب...

وبهذه العبادات والأخلاق الحسنة والصفات الحميدة تتحقق له الوقاية النفسية القلبية الروحية ليُحفظ النشء من بطش الملائكة الغلاظ الشداد يوم القيامة.

ويكرم ويحسن إليه، ويجازى على كل خلق جميل، ويشجع عليه..

وسائل التنشئة المؤثرة في الطفل:

1- القدوة:

إن للقدوة الحسنة الأثر الفعال في تنشئة الطفل، فإذا صلحت القدوة صلح الطفل، لكون المربي المثل الأعلى في نظر الطفل، ولذلك فإن فاقد الشيء لا يعطيه، فإن لم تكن القدوة حسنة، كيف ننتظر تنشئة الطفل تنشئة مستقيمة، لأن الطفل يكتسب صفات الوسط الذي ينشأ فيه وأهم العناصر المكونة لهذا الوسط: الأب والأم، فأهم عامل لتنشئة أطفال أسوياء هو نجاح الآباء والأمهات في التأثير على أبنائهم عن طريق معاملاتهم معهم «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه»[7]، فنجاح الرعية الأبناء متوقف على حسن الرعاية من الآباء والأمهات.

قال عُتبة بن أبي سُفيان لمؤدِّب ولده: «ليكن إصلاحُك بَني إصلاحَك نفسك، فإن عُيوبَهم معقودة بعَيْبك، فالحسنُ عندهم ما استحسنتَ، والقبيحُ ما استقبحت؛ وعلِّمهم سِيَرَ الحكماء، وأخلاقَ الأدباء، وتهددْهم بي وأدبْهم دوني؛ وكن لهم كالطبيب الذي لا يَعْجَل بالدواء حتى يَعْرِف الداء؛ ولا تتكلن على عذر مني، فإني قد اتكلتُ على كفاية منك»(عيون الأخبار، لابن قتيبة الدينوري).

والقدوة الحسنة من أكبر العوامل في

التأثير على الطفل ونجاح تربيته وتنشئته تنشئة سوية.

من هنا حرص الشارع على أن يتخلق المربي بالصفات الحسنة والخصال الحميدة باعتباره قدوة لغيره من أبنائه.

وهنا تنبيه للمربي ألا ينعت طفله بصفات سلبية، فذهنية الطفل تتشكل بما يسمعه في مراحل عمره الأولى من الوالدين والأقارب، فإذا كان الطفل لا يسمع إلا السب والشتم والكلام البذيء فإن هذه الكلمات ستترسخ في ذهنه وتتحول إلى هويته، وإن ترددت على مسمعيه الكلمات اللطيفة والجميلة والخلاقة... فستستقر في ذهنه ويحمله معه طوال حياته.

ولهذا حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعاملة السيئة مع الطفل: عَن أبي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ لِصَبِيّ تَعَالَ هَاكَ ثُمَّ لَمْ يُعْطِهِ فَهِيَ كَذْبَةٌ»(رواه الإمام أحمد في مسنده).

وخلاصة القول: إن التأثير بالفعل أكثر قوة من التأثير بالقول، والطفل كالعجين في يد والديه، يستطيعان أن يصنعا منه ما يشاءان، وذلك بتربيته وتهذيب غرائزه، وتأديبه...

2- الحب:

الحب كالغيث أينما نزل نفع؛ يسقي الأرض وينبت الزرع، ويَروي الظمأ، ويملأ النفوس فرحاً ورجاءً، ويملأ الحياة رَوْحاً وبهجةً وسكينةً...

والطفل في أمس الحاجة إلى الحب والعطف والحنان في مرحلة طفولته الحساسة، وهذه المشاعر لا تكون في بيت يسوده التناطح والعنف والشقاق والخصام، ومن هنا ندرك أهمية بناء البيوت على الدعائم القرآنية الثلاث: المودة-الرحمة-السكن، لبناء أسرة سعيدة، وتأمين بيئة عاطفية نقية لتنشئة الطفل تنشئة سوية.

إن خطاب الحب يغذي حاجة الطفل الفطرية إلى العطف والحنان، "فالمحبة هي مصدر الأمن النفسي للولد ، كما أنها هي القاعدة الصلبة لبناء شخصية الولد على الاستقامة والصلاح والتعامل الإيجابي مع المجتمع من حوله ، ولا يتصور تحقق هذه الغايات. إذا كانت المحبة حبيسة داخل صدور الآباء والأمهات "[8].

والطفل الذي لا يجد الحب والعطف والحنان في البيت أو في المدرسة سيؤدي به ذلك إلى النفور من المربي وعدم تقبل توجيهاته ونصائحه، بل سيجعله ذلك لا ينسجم مع الحياة، ويزرع في قلبه الكراهية للآخرين.

والتنشئة عن طريق الحب تكون بالوسائل الآتية:

أ)-بسمة الحب: ليملأ الآباء والأمهات بيوتهم بعبق الابتسامة، فللابتسامة إشعاع قوي وتأثير لا يستهان به في نفسية النشء، كما أن للعبوسية والاكفهرار أثره السلبي عليهم. يقول الإمام علي كرم الله وجهه:

(لا يكونن أهلك أشقى الناس بك) (جامع الأحاديث للإمام جلال الدين السيوطي).

ب)-جلسة حب: اجلس بجانب طفلك (ذكرا كان أم أنثى) وضمه إليك واهمس في أذنه وقل له «أحبك» وكررها، حتى تستقر في قلبه. إن لهذه الكلمة الحب أثرها الفعال في نفسية الطفل، إنها أجمل كلمة ترسمها في ذهنه، قبل أن يرسم فيها شارع البؤس ما يشاء.

ت)- نظرة حب: انظر إليه نظرة حب وابتسم له من أعماق قلبك، وزد له وقل له «اشتقت لك يا حبيبي»، وعند اجتماعكم على مائدة الغذاء أو العشاء ضع لقمة في فمه واجعلها عربون حبك له...

ث)- قُبلة حب: لا تبخل عليه ببعض القُبلات، لتنمي فسيلة الحب في قلبه...: عَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»(صحيح الإمام البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله معانقته).

ج)- عناق حب: كما يقال «أطيب الطيب عناق الحبيب»: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم في طَائِفَةٍ مِنَ النَّهَارِ لاَ يُكَلِّمُنِي وَلاَ أُكَلِّمُهُ، حَتَّى جَاءَ سُوقَ بَنِي قَيْنُقَاعَ، ثُمَّ انْصَرَفَ حَتَّى أَتَى خِبَاءَ فَاطِمَةَ فَقَالَ: «أَثَمَّ لُكَعُ[9] أَثَمَّ لُكَعُ». يَعْنِي حَسَنًا فَظَنَنَّا أَنَّهُ إِنَّمَا تَحْبِسُهُ أُمُّهُ لأَنْ تُغَسِّلَهُ وَتُلْبِسَهُ سِخَابًا[10]، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ يَسْعَى حَتَّى اعْتَنَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحْبِبْ مَنْ يُحِبُّهُ»[11].

ح)-لمسة الحب: امسح على رأسه وعلى خده: عَنْ جَابِرِ بن سَمُرَةَ، قَالَ: (صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الأُولَى ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ، وَخَرَجْتُ مَعَهُ فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ الْمَدِينَةَ فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، قَالَ: وَأَمَّا فَمَسَحَ خَدِّي فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا وَرِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُونَةِ عَطَّارٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (رواه الطبراني في المعجم الكبير).

لكن للأسف الآباء اليوم الكثير من الآباء اليوم لا يلمسون خدود أبنائهم إلاّ حين الصفع!

خ)-ضمة الحب: عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلميَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخِذِهِ، وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ عَلَى فَخِذِهِ الأُخْرَى، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا»[12].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ضَمَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّه عليه وسلم وَقَالَ: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ»[31].

د)-عدل الحب: الحب يقتضي من الأبوين أن يعدلا بين أطفالهما قال النبي

صلى الله عليه وسلم: «اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ»[14]. وبالعدل بين الأبناء يمكن القضاء على بذور الغيرة والحسد.

ذ)- علاج الأخطاء بحب: حاول تصحيح أخطائه بحب مثلا قل له: أنت مخطئ لكني أحبك...

ر)- ثناء الحب: أثن عليه عندما يقوم بعمل حسن، واشكره على ما فعله من خير وبر بهذا يشعر الطفل بتقدير الذات ويشعر بقيمته كإنسان. علمه التفاؤل المسؤولية...

ولا شك أن للثناء على الطفل ومدحه «أثرًا فعالا في نفسه فيحرك مشاعره، وأحاسيسه، فيتسارع الطفل إلى تصحيح سلوكه وأعماله، وترتاح نفسه وتزهو لهذا الثناء، وتتابع في النشاط وتستمر به «[15].

ز)-رفق الحب: إن الرفق زنة الأخلاق وتاج الفضائل، يفعل في نفسية الطفل ما لا تفعله القسوة والخشونة، ويعطي ثماره كل حين بإذن ربه.

ولذلك فإن» التعامل مع الأطفال برفق ولين مع احترامهم وتقديرهم، يجعلهم أسوياء، ويعودهم على الاعتماد على النفس والثقة، ويربي فيهم حب الآخرين، والتآلف مع غيرهم. والتآخي، ومعاملة غيرهم بالمودة والرأفة كما كانوا يعاملون، وكما تعودوا عليه»[16].

ولنا في سيد الخلق وحبيب الحق صلى الله عليه وسلم قدوة مثلى في الرفق مع الأطفال في الخطاب والتعامل والتعليم،

أما القسوة والجفاء والجفاف في المشاعر والتعامل عاقبتهم وخيمة على مستقبل الطفل، ولهذا حذر مؤرخنا الحكيم عبد الرحمن بن خلدون من هذا بقوله: " من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم، سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره، خوفًا من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادة وخلقًا"[17].

ومن الأهمية بمكان القول أن الملاطفة والحنان تهب الطفل دفئا وحنانا يظهر أثرهما على صحته، لكن دون إفراط في اللين والحنان، حتى لا يضيع الأولاد بكثرة الدلال، فالطريق المفروش بالورود لا يوصل إلى المجد أبدا... واشتط آخرون في الفظاظة والقسوة والخشونة فضيعوا أطفالهم بنهج سياسة الحرمان والقمع والكبت... فالتوسط والاعتدال مطلوب، ففي السنوات الأولى من العمر ينهج معه سياسة اللين والحنان، حتى إذا أدرك وتعقل بدأ معه سياسة اللين مع الشدة أي التوسط بين الأمرين حتى يستطيع الطفل مواجهة الحياة بحلوها ومرها ونعيمها وشقائها...

كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعامل أبناءه ببعض الشدة عند الضرورة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ أَخَذَ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي

فيه، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : «كَخ كَخ، أَمَا تَعْرِفُ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ»[17].

س)-دعابة الحب: إن الطفل أحوج إلى الملاطفة في القول بالمزاح وغيره. والدعابة أسلوب تربوي هام يجلب للنفس البهجة والسرور ويزيل عنها الملل ويبعث فيها النشاط، إذ النفس تمل ولابد لها من حادي يحدوها إلى الخير والفضيلة والعطاء، والدعابة من الأمور الهامة في تنشئة الطفل وتعليمه.

ش)-نداء الحب: إن من الأخلاق التي أرشد إليها الإسلام مخاطبة الناس بالقول الحسن والنداء الحسن والألفاظ اللطيفة، ذات وقع إيجابي على النفس، حيث تشعر المخاطب بالمودة والرحمة، والصفاء والنقاء، والاستعداد للبذل والاستجابة للقول..

فإذا كان هذا ما أرشد إليه الإسلام في التعامل سائر الناس، فإنه مع الطفل أحرى وأوجب. وهذا ما يتضح لنا جليا في خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم:

- مناداة المخاطب بكنيته كما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم: (يا أبا عُمَيْر ما فعل النُّغَيْر) .

- مناداة المخاطب بطفولته كما في خطاب رسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما: (يا غلام سمِّ الله وكُلْ بيمينك وكل مما يليك).

- مناداة المخاطب بنداء البنوة حيث في قوله صلى الله عليه وسلم : (يا بني).

-مناداة المخاطب بتصغير اسمه:كما في خطابه صلى الله عليه وسلم لأنس رضي الله عنه: (يا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حيث أمرتُكَ) .

- مناداة المخاطب بالممازحة: في خطابه صلى الله عليه وسلم لأنس بن مالك رضي الله عنه: (يا ذا الأُذُنَيْنِ).

إن مناداة الطفل بنداء حسن باسمه أو بكنيته أو بعبارة لطيفة... وسيلة هامة لإشعاره بمحبة المخاطب له وتحفيزه وتشويقه لسماع الخطاب، كما أنها وسيلة فعالة للترغيب في الامتثال بما يدعو إليه الخطاب، وتنفيذ الأوامر بكل فرح وسرور.

ص)-دعاء الحب: الدعاء هو العبادة ومخها، وله أثر إيجابي على نفسية الطفل؛ حيث يشعر بالعطف والحنان والاهتمام، مما يرفع همته ويطمئن وجدانه.

وخلاصة القول: فحب البنات والبنين والعطف عليهم واللطف بهم ونحلهم النحلة الحسنة سنة من سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم. عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَلأَبِي الْعَاصِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا) [18].

3- **الحوار:**

إن نفسية الأطفال تمل من العرض والإلقاء، لذا فإن أفضل طريقة لإيصال

الأفكار طريقة السؤال والجواب وغيرها من طرائق التشويق.

والحوار بأدب ورفق لينشأ الطفل نشأة حرة ومسئولة، وإلا فالفظاظة من جانب الآباء والقسوة من جانب المعلمين، والقمع في المجتمع، عصاً لا تربي إلا الحمير. وعلى رأس الضارب تعود الضربة.

وبالحوار والمناقشة والمجادلة تُنمّى طاقات الأطفال جيل المستقبل وتفتح صدورهم وتوسع مداركهم، ويزيد نشاطهم في الكشف على حقائق الأمور، بعيدا عن اللوم والسخرية بهم والتشكيك في قدراتهم مع الإصغاء إليهم، حتى يتمكنوا من إبداء آرائهم بكل ثقة وحرية، فترتفع همتهم ويثقون بأنفسهم، ويشعرون بالحظوة والاعتبار لدى الآباء، وتقوى بينهم المحبة، ويسود الاحترام، وتكتمل الشخصية.

4 -القصة والموعظة والعبرة:

أ)- القصة: إن القصة هي أفضل وسيلة لتربية النفس البشرية، وتهذيبها، وتطهيرها مما علق على مشجبها من الآفات والعاهات والعلل، وإذا أحكمت صورتها وأحداثها كان لها تأثير قوي في التربية، إضافة إلى ما فيها إثارة وتشويق وإفادة وعبر وعظات تنفع السالك إلى ربه، ولكونها من أبلغ الطرائق في إصابة الهدف... ولهذا عني بها القرآن الكريم اعتناء كبيرا، واستخدمها رسول صلى الله عليه وسلم في أساليب تربيته للصحابة الكرام رضي الله عنهم ولأمته من بعده.

وهكذا فالقصة إن صيغت بأسلوب سلس سهل مرتب الأفكار أسرت القلب وحبست الأنفاس وفتحت العقل، وامتزجت بروح المتلقي، فوجدت فيها مكاناً تربعت عليه وآتت أكلها بإذن الله تعالى، وتحقق الهدف منها في الاعتبار والاتعاظ.

فالقصة الهادفة تفتح آذاناً صمّاً، وقلوباً غلفا، وعقولاً تلبدت، إن أحكمت أفكارها وأحسن أداؤها.

ب)- الموعظة: قال الله عز اسمه: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ) (سورة لقمان: من الآية 13): هذه الجملة اسمية تدل على الثبوت والدوام والاستقرار وهي جملة حالية عن «لقمان» الوالد.

وتنشئة الطفل تمر عبر الوعظ ووسائله المشوقة ووسائل الترغيب والترهيب، والحكمة واستعمال الكلمات الواضحة والسهلة توافق عقل المتلقي لقول الإمام علي رضي الله عنه: (حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) [19]، مع شرح سبب كل عمل خير دله عليه..ومخاطبته بمحبة (يا بني).. وتقديم البديل عن كل عمل سوء، وبيان سبب نهيه عنه: كما في قصة لقمان عليه السلام، لما نهى ابنه عن مشية المرح والبطر أتاه بالبديل عن ذلك بالاعتدال والتوسط في المشي (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ)، ولما نهاه عن رفع الصوت، بين له سبب نهيه عن ذلك: (وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)...

وقبل ذلك وبعده لابد من التيسير في تنشئة الطفل وتلقينه: «إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»[20].

5)-الترغيب والترهيب:

أ)-الترغيب: بترغيب الطفل في الخير والبر وما أعده الله تعالى لأهل الخير والبر... والترغيب في العبادات والمحبة ومساعدة الناس، ومكارم الأخلاق والصدق وما يترتب على كل ذلك من الثواب والجنة ومعية الله تعالى... عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: « يَا غُلَامُ أَوْ يَا غُلَيِّمُ أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ». فَقُلْتُ: بَلَى. فَقَالَ: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْراً كَثِيراً، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً»[21].

ب)-الترهيب: والترهيب يكون ببيان جزاء بعض الأعمال الشنيعة والأفعال القبيحة، كما قال لقمان الحكيم لابنه: (يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (سورة لقمان: من الآية 13).

قل له يا بني لا تكذب، فإن الله تعالى لا يحب الكذابين، قل له يا بني صل صلاتك في وقتها، فإن الله تعالى قال: (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ(4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ(5)) (سورة الماعون).

عن عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»[22].

أما الضرب غير المبرح فهو آخر وسيلة، لكنه ضرب لا يخدش وجها، ولا يكسر عظاما، ولا يمزق جلدا، ولا يسيل دما...

قال الرشيد لمؤدب ولده: «أقرئه القرآن، وعلمه الآثار والأخبار والسنن، وروّه الأشعار، وبصّره مواقع الكلام، ومره بالرزانة في المجلس والاقتصاد في نظره وسمعه، فلا تمرنّ بك ساعة إلا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيده إياها، وكلمة نافعة يعيها ويحفظها من غير أن تخرق به فتميت ذهنه وتملّه، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقومه بالتقريب والملاينة، فإن أبى فالشدة»[23].

إن معاملة الطفل باللين والرحمة والعطف والحنان هو الأصل، أما الشدة فهي في حالات استثنائية، إذ لابد من مراعاة طبيعة الطفل، والتدرج معه من الأخف إلى الأشد، فلا يبدأ بالضرب لحل المشكلة ومعالجة انحراف الطفل، بل الضرب غير المبرّح آخر وسيلة وبعد أن يبلغ الطفل العاشرة من عمره، وبعد اتخاذ جميع

الوسائل من اللين والرحمة ثم الإرشاد إلى الخطأ بالتوجيه والملاطفة، ثم بالموعظة البليغة ثم بالتوبيخ، وتعطى له فرصة للتوبة والاعتذار... لكن إذا تابعنا الطفل منذ ولادته فستكون تنشئته تنشئة مستقيمة، لا نحتاج إلى ضرب ولا إلى شدة..

ومحاولة تفادي الضرب أولى وأصلح، عَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: (مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم شَيْئًا قَطُّ بيَدِه، وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ خَادِمًا إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّه) [24].

6-المراقبة:

يراقب الأبوان مولودهما مراقبة دقيقة بعناية ودراية حركاته وهو يحبو، وجسمه ينمو، وعقله يتكون، ولسانه ينطلق. ومجرد أن ينطلق لسانه يلقن كلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله» لتكون أول كلمة تجري على لسانه عسى أن تعمه بركتها طول حياته.

بل يجب مراقبته من يوم ميلاده، فلا يستعمل في إرضاعه -إن عجزت أمه عن إرضاعه- إلا امرأة صالحة تأكل الحلال. فإرضاعه باللبن الحاصل من الحرام كتغذيته بالسموم المهلكة، لا بركة فيه.

وإذا بلغ السابعة من عمره فيرغب ويحبب في الطهارة والوضوء والصلاة...

أما ترك الأبناء لمراكز الحضانة أو للخدم، فإن توكيل الجاهل أو الغريب على الأطفال كتوكيل الثعلب على الدجاج. الأطفال في أيدي الخدم كارثة.

أضف إلى ذلك السؤال عن أحواله ووضعه، حتى يعطي لكل ذي حق حقه، وحتى تكون تنشئته متوازنة ومتكاملة، ويكون لبنة صالحة في كيان الأمة.

7-الترويح: إن «الترويح التربوي يقوم بدور تربوي مؤثر في تنمية شخصيات الأبناء عن طريق الأنشطة الترويحية، فمن خلاله يتعلم الأطفال دروسًا في المسئولية وتقدير الآخرين وتدعم. لديهم اتجاهات مرغوبة من وجهة نظر الثقافة والمجتمع» [25].

وإن الترويح باللعب يساعد على التهيئة النفسية للطفل، إذ «يعتبر اللعب للطفل الطريق السليم لاكتساب المهارات، واكتساب المعارف، وتنمية قدرة الطفل على التفكير. السليم والإبداع» [26].

يقول حجة الإسلام الغزالي: «وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبًا جميلا ويستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي من اللعب، وإرهاقه إلى التعلم دائمًا يميت قلبه، ويبطل ذكائه، وينغص. عليه العيش، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسًا» [27].

وعليه، فالإسلام منهاج متكامل، يراعي نفوس الناس وفطرتهم وأحوالهم وظروفهم، فلم يرهقهم عسرا، ولم يكلفهم فوق طاقتهم، بل منهاجه الوسطية والاعتدال، والتيسير ورفع الحرج...

ففي ديننا فسحة، وساعة للمرح والفرح والسرور، فإذا كان هذا حاله مع الكبار،

فكيف بالصغار وهم أحوج الناس إلى المرح والفسحة واللعب، لنشاهد هذا الموقف السامي والتعامل الراقي لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع أحفاده والصبيان رضي الله عنهم يلاعبهم ويلاطفهم ويمازحهم ويروح عن نفوسهم:

ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَامِلا الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَى عَاتِقِهِ فَقَالَ رَجُلٌ: نِعْمَ الْمَرْكَبُ رَكِبْتَ يَا غُلامُ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «وَنِعْمَ الرَّاكِبُ هُوَ»[28].

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ أَنَّ يَعْلَى بْنَ مُرَّةَ حَدَّثَهُمْ أَنَّهُمْ خَرَجُوا مَعَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- إِلَى طَعَامٍ دُعُوا لَهُ فَإِذَا حُسَيْنٌ يَلْعَبُ فِي السِّكَّةِ، قَالَ: فَتَقَدَّمَ النَّبِي -صلى الله عليه وسلم- أَمَامَ الْقَوْمِ وَبَسَطَ يَدَيْهِ فَجَعَلَ الْغُلامُ يَفِرُّ هَا هُنَا وَهَا هُنَا وَيُضَاحِكُهُ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- حَتَّى أَخَذَهُ فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ تَحْتَ ذَقَنِهِ وَالأُخْرَى فِي فَأْسِ رَأْسِهِ فَقَبَّلَهُ وَقَالَ: « حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الأَسْبَاطِ»[29].

يقول جان جاك روسو: « أحبوا الطفولة، يسروا لها ألعابها ومسراتها وفطرتها المحبوبة. من منكم لم يأسف أحيانًا على تلك السن التي لا تفارق الابتسامة فيها الشفتين، والتي تكون فيها النفس في سلم وهدوء دائم؟ فلم تريدون أن تحرموا هؤلاء الصغار الأبرياء من متعة في فترة تكاد من قصرها تفوتهم، ومن ذخر ثمين لن يسيئوا استعماله مهما فعلوا ؟ ولمَ تريدون أن تملئوا بالمرارة والآلام هذه السنوات الأولى الخاطفة التي لا تعود إليهم أبدًا ، كما لا تعود إليكم»[30].

8-الصحبة الصالحة:

رفقة السوء لا ترضيهم استقامة الآخرين غيرة وتنافسا، لذلك يجب أن يراقب الآباء أبناءهم وأن يختاروا لهم الرفقة الصالحة مثلا للذهاب إلى المدرسة.... لحديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» (رواه الإمام أحمد في مسنده).

وعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»[31].

قال عبد الملك لمؤدِّب ولده: «جَنِّبْهم السفلةَ فإنّهم أسوأ الناس رِعَةً (ورعا) وأقلّهم أدباً»[32].

9-بناء من أساس وعلى أساس:

أ)-البناء الإيماني: لقد ألزم الإسلام الآباء بضرورة تربية الطفل تربية إسلامية، وربطه بقواعد الإيمان وأركان الإسلام بتدرج مع مراعاة نموه العقلي وتميزه وفهمه.

قال الإمام ابن قيم: «من أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى، فقد أساء

إليه غاية الإساءة. وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه فأضاعوهم صغارا فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارا. كما عاتب بعضهم ولده على العقوق، فقال يا أبت: إنك عققتني صغيرا فعققتك كبيرا، وأضعتني وليدا فأضعتك شيخا»(تحفة المولود بأحكام المولود).

ب)-البناء الخلقي: إكساب الطفل مجموعة من الأخلاق الحسنة والخصال الحميدة في علاقته بنفسه وعلاقته بربه وعلاقته مع الناس... حتى تتصف روحه بالصفاء والنقاء والإشراق...

ت)-البناء الفكري: بناء فكر الطفل منذ أن يصبح مميزا وعاقلا بنظام الإسلام الشمولي لكل مناحي الحياة، حتى يكون محصنا من الهجمات التغريبية التخريبية، والمخططات الاستعمارية الغربية واللائيكية.. التي تهدف إلى طمس العقيدة الإسلامية وأخلاقها ومبادئها...

وليحذر الآباء والأمهات من تلقين أطفالهم معلومات مخطئة، أو تسليتهم بحكايات خرافية...

ح)-البناء الجسمي: الحفاظ على سلامة صحته، وقوة جسمه، حتى يكون أكثر حيوية ونشاطا... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وفي كل خير»[33].

خ)-البناء الاجتماعي: التعامل مع الآخرين واحترامهم، ومساعدة الضعيف والمحتاج...

مسك الختام:

انطلاقا من كل ما سبق يتضح لنا جليا أن الطفل صفحة بيضاء، قابلة للكتابة بكل الرموز والألوان.

لذا يجب أن يكتب فيها الفضيلة والخير، والآداب الإسلامية والأخلاق المحمدية، والخصال الكريمة...

فالطفل هو الغد القادم، فلرسم هذا الغد يجب أن نكثف الجهود ونسخر طاقاتنا لتربيته تربية إسلامية أصيلة، تنفع الأمة وترفع الهمة...

وخلاصة القول: إذا أردت أن تعرف مستقبل أمة فانظر إلى حاضر أطفالها وحالهم وتربيتهم.

الهوامش

1 - رواه الإمام الترمذي. كتاب البر والصلة، باب ما جاء في أدب الولد.

2 - صحيح الإمام مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

3 - رواه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.

4 - النحل: العَطِيَّة والهبة ابتداءً من غير عِوَض ولا اسْتِحْقاق.

5 - المجالسة وجواهر العلم، أحمد بن مروان بن محمد الدينوري أبو بكر القاضي المالكي، 4/441.

6 - الجدعاء هي: التي قطع منها عضو.

7 - رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب لا تبديل لخلق الله.

8 - رواه الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

9 - تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع الطفل، علي بن ربيع الزهراني، ص125.

10 - لكع: اسم تصغير وتحبب.

11 - السخاب: قلادة ليس فيها من اللؤلؤ والجوهر شيء.

12 - صحيح الإمام مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الحسن والحسين.

13 صحيح الإمام البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم علمه الكتاب.

14 - صحيح الإمام البخاري، كتاب الهبة، باب الهبة للولد.

15 - منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور سويد، ص349.

16 - مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين (رسالة ماجستير). صالح بن سليمان البقعاوي، ص132.

17 - المقدمة، ص743.

18 - صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب ما يذكر في الصدقة، ح2907.

19 - صحيح الإمام البخاري، كتاب الصلاة، باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه.

20 - صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما.

21 - رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، الصحيح، كتاب الوضوء.

22 - رواه الإمام أحمد في مسنده، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح.

23 - سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة.

24 - المحاسن والمساوئ، للبيهقي 2/213.

25 - رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب مباعدته للآثام واختياره من المباح أسهله.

26 - تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع الأطفال تربويا، حصة الصغير، ص120.

27 - تربية الطفل في السنة النبوية، محمد صالح المنيف، ص96.

28 - سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب الحسن والحسين.

29 - سنن ابن ماجه، باب فضل الحسن والحسين، ح144. قال الألباني: حديث حسن.

30 - تعليم بلا عقاب، محمود إسماعيل عمار، ص48.

31 - البخاري، كتاب الذبائح، باب المسك. مسلم: كتاب البر والصلة والأدب، باب استحباب مجالسة الصالحين.

32 - لباب الآداب، أسامة بن منقذ، 1/68.

33 - رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز.